مدارس الخط العربي في مصر ودورها فى المحافظة على كلاسيكية الخطوط العربية

إعداد
د/ حمود جلوى فرج
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية التربية الأساسية – الكويت

المستخلص:
تقوم هذه الدراسة على إبراز قيمة الخط العربي ودوره من خلال أنواعه المتنوعة كنوع لعنوان التقدم والرقي ومظهر من مظاهر الحضارة كان للمصريين دور السبق فيه إذ لم يكن الخط معروفاً فيما قبل إلا عند المصريين فهم أسبق الأمم إليه وتتجلى فكرة هذه الدراسة في التعرف على الغاية والمفهوم للخط العربي وإبراز أنواع الخطوط العربية وأثر هذه الأنواع ومدى تاثيرها الكلاسيكي على فنون الخط العربي .
الكلمات المفتاحية: مدارس الخط العربي، في مصر، ودورها فى المحافظة على كلاسيكية الخطوط العربية.

Arabic calligraphy schools in Egypt and their role in preserving the classicism of Arabic calligraphy

This study is based on highlighting the value of Arabic calligraphy and its role through its various types as a type of symbol of progress and sophistication and a manifestation of civilization in which the Egyptians played a pioneering role, as calligraphy was not previously known except to the Egyptians, as they were the first nations to do it. The idea of this study is evident in identifying the purpose and concept. Arabic calligraphy and highlighting the types of Arabic calligraphy and the impact of these types and the extent of their classical influence on the arts of Arabic calligraphy.

المقدمـــة:

الحمد لله الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم وصلاة وسلاماً على النبى محمد الذى علم المتعلمين وأدب المتأدبين ثم أما قبل .....

فإن للخط العربي أو الكتابة الخطية الدور الفاعل والمؤثر في تكوين ذائقة القارئ المتلقي والمشاهد لبدائع الألوان والخطوط العربية ومن المعلوم (أن الخط العربي لهو عنوان التقدم والرقي ومظهرمن مظاهر الحضارة وأسبق الأمم إليه المصريون والفينيقيون والعرب لم يكن الخط معروفاً لديهم إلا في الجهات التى وصلت إليها الحضارة كاليمن الذين يستعملون خطاً يُعرف بالمسند) .[١]

لهذا كانت فكرة تلكم الدراسة حول مدارس الخط العربي في مصر وأثرها الكلاسيكي في المحافظ على الوان الخطوط العربية .

والباحثون يذهبون إلى أن الخط العربي هو منبع الخطوط ومنه تم أخذ الخط الفينيقي ومن الفينيقى أخذوا الخط الأرامي والمسند ومن الخط الآرامي أخذوا النبطي في حوران ومن النبطي أخذوا الخط الحجازي والكوفي ومن قبل الإسلام كان يُعرف بالحيري والأنباري . [٢]

ولأجل القيمة الفنية لأصالة الخط العربي في مصر ستتكفل الدراسة بإبراز وتجلية هذا الأثر لأنواع الخطوط العربية وتأثيرها الكلاسيكي على الخط من خلال مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وهوامش الدراسة ، ففي المقدمة وبها خطة لسير الدراسة وأهميتها وطرائق عرضها وكيفية التناول .

المبحث الأول : وبه تعريف لمفهوم الخط وغاياته الدراسية .

المبحث الثاني : وبه عرض لأبرز أنواع الخطوط العربية التى كان لها التأثير الفاعل والمؤثر في الترسيخ للكلاسيكية في الخط العربي وكيف تم ذلك .

المبحث الثالث : مدارس الخطوط العربية في مصر وتأثيرها الكلاسيكي على الخط العربي وكيف كان لهذه المدارس الخطية الدور الأبرز في تربع مصر والمكانة اللائقة بها ودنيا الخط العربي وقد تجلى ذلك من خلال العرض لأسماء ومشاهير الخطاطين المصريين وكيف كان لهم الدور المؤثر على كلاسيكية الخط العربي. .

هوامش الدراسة :

الخاتمة وبها مختتم شامل لما كانت عليه الدراسة وكيف سارت على صفحاتها وكيف تشكلت ملامحها الدارسة لأصالة وقيمة المضمون الذى تسعى إليه ألا وهو براعة الخطوط العربية في مصر وكيف حافظت على الشكل الكلاسيكي على الخط العربي .

وفى النهاية نأمل أن تكون قد وفقت الدراسة في تحقيق ما تصبو إليه لإبراز الهدف والغاية المنوط بها وإبراز أثر الخطوط العربية في مصر على كلاسيكية الخط العربي .

هذا والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل ،،،،

المبحث الأول

الخط العربي (المفهوم والغاية)

يعد فن الخط العربي ركن ركين من أركان حفظ المسلم للقرآن الكريم إضافة إلى كونه الطريقة المهمة للمعرفة العلمية لعلوم الدين الإسلامي .

ناهيك عن أن الخط العربي يعطى مظهراً جمالياً أخاذاً للنصوص المكتوبة يتبدى ذلك كله عند قراءة النصوص بخط واضح جميل متناسق مما يعكس راحة ومتعة فنية للقارئ يخرج على إثر هذا التنسيق والتناغم وقد اكتسب الخط العربي زخرفة مميزة وشكل أنيق بديع .

والخط يُعرف بأنه العلم الذي يعرف به أحوال الحروف في حالة وضعيتها وكيفية تركيبها تركيباً يُظهر فنية الكتابة ، وقد قيل بأن الخط هو آلة جسمانية تضُعف بالترك وتقوى بالإدمان ، كما ذهبوا إلى أن الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة[٣] .

والعرب قبل نزول القرآن الكريم كانوا أميين لا يعرفون القراءة والكتابة ، لذلك لم يكن هنا الدور الفاعل للخط العربي في حياتهم ولكن قد تغير الحال بنزول القرآن الكريم تغيراً مهما جعل للخط العربي المكانة اللائقة والشكل الملحوظ إذ ظهرت مجموعة من الخطاطين الذين راحوا يكتبون القرآن الكريم على سعف النخيل والعظام إذ كانوا يجودون من خطوطهم بدافع العقيدة حتى أصبح ذلك كله النواة الأولى لفئة كبار الخطاطين الذين ظهروا فيما بعد .

من هنا ظهر الخط من مجرد أداة للتسجيل والتوثيق إلى فن مهم له خصوصيته القائمة بذاتها وله أصوله وقواعده ناهيك عن عكوف الكثيرين من الأشخاص لدراسته والعناية به ولذا تراه يحظى بعناية فائقة[٤]

وغاية الخط العربي :

توشك أن تتحدد في حفظه لكتاب الله (القرآن الكريم) منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى يوم عصرنا الحالي ، اذ لعب الخط العربي دوراً مهماً في حفظ السنة النبوية الشريفة منذ القرن الثالث عشر وحتى عصر الطباعة جنباً إلى حفظ علوم الدين الإسلامي المتنوعة .

ناهيك عن أن الخط العربي اذ يبعث في نفس المتلقي مشاعر الارتياح عند قراءة النص المكتوب بخط فني جميل ، كما لا يمكن إغفال فكرة وغاية بأن الخط العربي من الفنون الجميلة التي تتسم بقدرتها على تربية الذوق العام وكذا شحذ المواهب وجعلها تترقى حتى تصل الى رهافة الحس وآلاقته .

ولا ينفلت الحديث عن كون أن الخط به المجال المهم لتعليم الطلاب لبعض القيم الأخلاقية المثل النادرة التي ترد في أنساق الخطوط العربية لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكذا تراثنا العربي من أبيات شعره وآيات نثره .

ومن جليل غايات الخط بأن المتعلم يكتسب العديد من المهارات والملكات التي تنضاف إلى شخصيتة كالترتيب ، والتنظيم ودقة الملاحظة والتمعين في الأشياء والموازنة ومراعاة النسب ، فضلاً عن أن الخط يربي الصبر من خلال كثرة المران والدربة والتدريب الفاعل والمستمر .

وغير خاف بأن الخط يعزز قيم المشاعر والإعتزاز بالذات والفخر بها وكذا بالقيم الإسلامية العريقة الرفيعة .

ناهيك عن تنمية الحس اللغوى من خلال كسب العديد من الثروة اللغوية لدى المتعلمين من خلال منطات التعليم والتدريب لأنواع الخطوط العربية .

وبذلك نكون قد حددنا الغاية والمراد من دراسة الخط العربي وما لهذا الفن العريق من أصالة حضور منذ القدم وحتى العصر الحالى على نحو ما أبرزنا آنفاً. (٥)

وخير ما نختم به القيمة الفنية وحديثنا عن غايات الخط العربي ما ذكره ابن خلدون في مقدمته عن **الخط العربي** : بأنه نتاج لعمليات التأمل والتبصر ليحمل في طياته فلسفة جمالية لتصوير مفاهيم فكرية وروحية وفق نظم يتعانق فيها المفعم مع النبض الروحي ومرتبة من الدلالة اللغوية .

والكلمات المسموعة الدالة عما يجول في الذات من معان و مشاعر في صورة رموز مقروءة تظهر تأثير الخصائص الروحية الإسلامية وانعكاساتها بصورة تجريدية تعبرعن فلسفة عقائدية مرجعها فكرة التوحيد ، ليتجاوز بذلك الخط العربي المظهر الخارجي الذي يدرك بالعين المجردة ليبدو وكأنه صورة للفضائل التي تحملها روح الفنان من مبعث جمالي باطني ومعراج يصل بالنفس لحقيقة الجمال وفلسفته. (٦)

المبحث الثاني

أنواع الخطوط العربية

من نافلة القول يمكن الذهاب إلى أن الخط العربى هو الذي يعتمد على قاعدة كلية تجرى عليها كتابة كل الكلمات، تلك القاعدة هي أن " الكلمة تكتب كما تنطق" بمعنى أن كتابة أى كلمة تكون مطابقة تماماً لصورة الكلمة الصوتية فلا تزيد عنها حرفاً، ولا تنقص عنها حرفاً إلا في بعض مواضع قليلة يكون فيها نطق الكلمة مخالفاً لكتابتها من نحو :

كلمة هذا فإنها تنطق بألف بعد هاء التنبية ولا وجود لهذه الألف في الكتابة وكلمة عمرو ترسم بالواو للفرق بينها وبين عمر، ولا وجود لهذه الواو في النطق علماً بأن فن الإملاء هو الذى يتكفل بوضع القواعد و الأصول لهذا الخط القياسي الذي اتخذه الخطاطون مجالاً خصباً لإبداعهم .

وهذه مقدمة تمهيدية لننطلق منها لأنواع الخطوط العربية ومن هنا نقول بأن الخط العربي إنما تعددت أشكالة وتباينت نتيجة لمرونة الحروف العربية وسهولة انسيابها و اختلاف أقلامها فضلا عن وضوح أشكالها ولذا تنوعت أشكال الخط العربي وأصبح لكل خط قواعد المميزة له دون غيره ، والحديث عن أنواع الخطوط

العربية مجال خضب لا ينضب مما جعل المبدعون والمهتمون في هذا المجال يتبارون في استحداث أشكال الحروف وتكوين خطوط جديدة وسنحاول أن نبرز موضحين أبرز هذه الأنواع والتي تتمثل فـي :-

الخط الكوفي : [٧] ويعد هذا النوع الخط الكوفي Kufic script من أقدم الخطوط العربية إذ استخدمه المسلمون الأوائل في القديم لكتابة القرآن الكريم ، كما تم استخدامه للكتابة على العملات المعدنية وفي النقش على جدران المباني ، وقد ذهبوا إلى تسميتة بالكوفي نسبة الى مدينة الكوفة في العراق التي نشأ فيها وانتشر فيها [٨]

علماً بأن الخط الكوفي لم يعد خطاً منتشراً ومستخدماً من العامية منذ القرن الثاني عشر حيث اقتصر استخدامه في الزخارف والنقوش إلا أن أنواعه تطورت على مر العصور فهناك : الكوفي المزهر، الكوفي المضفر ، الكوفي المتشابك ، الكوفي المورق ، الكوفي المنحصر.

الخط الديواني : [٩] ويرجع الخط الديواني وقت التأريخ له إلى عهد وعصر الاتراك العثمانيين الأوائل في المدة ما بين القرنين ١٦ ، ١٧ وقد اشتهر في عهد السلطان سلمان الأول ١٥٢٠ / ١٥٦٦ م حيث تم استخدام هذا اللون من الخطوط في الوثائق الرسمية والمراسلات القانونية المهمة .

فضلاً عن استخدام الخط الديواني بشكل كبير لأغراض الزينة والديكور وذلك لقرب القرن ٢٠ م على وجه التقريب ، ومما تجدر الإشارة إليه أنه يتميز بحروفه المستديرة والمتداخلة وفي ذات الوقت يصعب التشكيل على حروفة.

وإلى يومنا هذا يستخدم الخط المغربي في شمال أفريقيا في بلاد المغرب وطرابلس ويتميز بكونه قد تطور عن الخط الكوفي ولكن حروفة أكثر استدارة و امتداد بشكل أفقى. [١٠]

خط النسخ : و يعد خط النسخ من أكثر الخطوط العربية والتي استخدمت في العصر الاسلامى القديم. لأجل كتابة ونسخ القرآن الكريم وهذا ما يفسر سبب تسميته بهذا الاسم ، كما عد أيضاً من اكثر الخطوط التى تستخدم حتى وقتنا الراهن في الطباعة نظراً لوضوح حروفه وكونها سهلة القراءة والتشكيل .

خط التعليق (الخط الفارسي) : [١١] وهذا النوع من الخطوط العربية يرجع إلى بلاد فارس في القرن ١٠م وقد كان يستخدم على نطاق واسع ورقعة منتشرة في المراسلات الملكية وظل هذا الاستخدام بهذه الشكلية وحتى غاية القرن ١٤ م ، والخط الفارس من الخطوط المنبثقة عن خط الرقعة ، وهو يمتاز بحروف الممتدة والمستديرة إلى حد كبير.

خط الرقعة : وهذا اللون من الخطوط العربية يرجع في أصول نشأته الى القرن التاسع عشر الميلادى وقد إبتدعة الخطاطون الأتراك في العصر العثماني ، وقد جاءت تسميته مشتقة من رقعة القماش الصغيرة والتي تستخدم الكتابة عليها في القديم .

وتجدر الإشارة إلى أن خط الرقعة يمتاز بوضوح الحروف وكذا قصرها ، فضلاً عن سهولتها في القراءة والكتابة إذ ما زال يستخدم في وقتنا المعاصر بشكل ملفت وواضح في العديد من المجالات على نحو التصميم الجرافيكي وكذا في طباعة المجلات والإعلانات (١٢)

خط الثلث : وقد ذهبوا إلى أن خط الثلث قد تطور عن الخط الكوفي واستخدموه بلشكل واسع في كتابة القرآن الكريم في القرن الثالث عشر الميلادي ، وكذلك أيضا في كتابة الألقاب الملكية والنقوش الدينية في المساجد ، وغير خاف بأن خط الثلث ليعد من الخطوط العربية الأنيقة وذات الحروف الكبيرة والمتصلة .

و من خلال عرضنا لأنواع الخطوط العربية يمكن القول بأن :

ظهور الخط العربي وتنوع أشكاله وصنوفه قد جاء نتيجة مرونة الحروف العربية والسهولة والإنسيابية التي تتمتع بها وكذا اختلاف أقلامها ناهيك عن وضوح أشكالها، ولذا فترى لكل لون أو نوع من الخطوط العربية قواعده الضابطة الحاكمة التي تؤصل لقواعده التى تتحكم به ، ولذا فإنه بعد توسع مجال الخط العربي وتشعبه فقد رأينا المبدعين والشغوفين يتسابقون فى ابتكار العديد من الأشكال للحروف و تكوين خطوط جديدة . ولذا فان (تنوع الخطوط العربية وتعدد أشكالها قد منحها خصائص جمالية قلما نشاهدها في خطوط وكتابات الحضارات الأخرى ، فالخط العربي يعدأرقى وأجمل خطوط العالم وأعظمها جلالاً وقيمة فإن له من حسن الشكل و جمال هندسته وبديع نسقه ما جعله يعلو فوق كل الفنون) (١٣)

وبذلك نكون قد وقفنا على تنوع الخطوط العربية وجلينا أبرز ملامحها الفائقة وهذه الأنواع تتشابه في هويتها العربية النابعة من قلب اللغة وبلا شك يعد الخط العربي هو أحد أهم الإنجازات التى يفتخر بها العرب على مختلف ثقافتهم دون الإلتفات إلى الدين أو العرق التى تنتسب إليه الشعوب العربية المتباينة وإنما يجمعها وحدة الإعجاب وروعة الخط العربي وجمالة وما يشتمل علية من فن يسرى في تشكيلية وطريقة رموزه . (١٤)

مما يؤكد على كيفية ومحافظة هذه الأنواع للخطوط العربية على مدى المحافظة على تأثيرها الكلاسيكي في الخط العربي من خلال الملامح التى تعرفنا عليها مع كل نوع وما سنقف أمامة من ملامح فارقة أيضاً حيث الحديث عن مدارس الخطوطة العربية في مصر وأثرها الكلاسيكي على الخط العربي في الصفحات القابلة .

المبحث الثالث

مدارس الخطوط العربية فى مصر وتأثيرها الكلاسيكي على الخط العربي

مضى ما يزيد عن مائة عام على تأسيس مدرسة تحسين الخطوط العربية في مصر بتكليف من الملك فؤاد الأول حيث قام بتكليف الخطاط الكبير الشيخ محمدعبد العزيز الرفاعي بهذه المهمة وقد استدعاه بتوصية من السيد نقيب الأشراف في مصر لأجل كتابة مصحفه الخاص (مصحف الملك فؤاد) .

ويذهب المهندس وفنان الخط العربي ياسر محمد الكرماني أبو ستيت : إلى أنه وبعد انجاز المصحف كتابة في غضون ستة أشهر وتذهيباً في مثلها اذ راح الملك فؤاد الأول يشرع في تأسيس مدرسة تحسين الخطوط الملكية

(خليل أغا) ومدرسة أخرى فوق سبيل سيدى صالح أبو حديد بالسيدة زينب لتعليم أصول وقواعد الخط العربي والزخرفة وتم افتتاحها في سبتمر ١٩٢٢م.

والجدير بالذكر أنه قد تشكلت هيئة تدرسية آنذاك للتدريس مكونة من الشيخ على بدوى تلميذ محمد مؤنس زاده والشيخ محمد رضوان أفندى على ، محمد على معما زاده عميد كلية الفنون الجميلة بتركيا ، محمد ابراهيم الأفندي / محمد غريب العربي [١٥]

والجدير بالذكر أن أول دفعة تخرجت من المدرسة سنة ١٩٢٦ وقد كان الخطاط الكبير محمد مصطفر المكاوى هو الحائز على المركز الأول على الخريجين ثم توالت الدفعات من مصر و من سائر الدول العربية.

فضلاً عن دول ماليزيا وباكستان ومعظم دول العالم الإسلامي ولا تزال مدرسة تحسين الخطوط العربية (خليل أغا بالقاهرة) مقصدا وكعبة الوافدين من كل دول العالم لتعلم وتلقى فنون الخط العربي ، كما أن الدراسة بمدرسة الخط العربي تستمر أربع سنوات للحصول على دبلوم الخطوط العربية ، وسنتان الدبلوم التخصص في الزخرفة والتذهيب ، ناهيك عن أن المدرسة تمتلك هيئة تدريسية على مستوى فريد وهذا مما يجعلها مقصد الطلاب الفن من جميع أنحاء العالم تحت إشراف سعد غزال المشرف الفني على المدرسة ونخبة من المدرسين الحائزين على جوائز عالمية في الخط العربي.

كما تجدر الإشارة إلى أنه يجب مراعاة الفصل بين مدرسة تحسين الخطوط الملكة وبين المدرسة التى أنشئت في عهد الخديوي اسماعيل ١٨٦٩م فمدرسة الخط ألحقت بها عام ١٩٢٢باشراف الشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي .

ومن أبرز أساتذة المدرسة الكبار اللوامع سيد إبراهيم عميد الخط العربي وعضو جامعة ابوللو ، والخطاط محمد حسنى البابا والد الفنانتين. سعاد حسنى ونجاة الصغير، ونجيب بك هواوينى ، والخطاط الضليع مصطفى بيك غزلان رئيس التوقيع بالديوان الملكي خطاط الملك فؤاد وكاتب الكسوة الشريفة ، إذ إن من خطاطي المدرسة من كانوا يكتبون الكسوة الشريفة أمثال محمد مصطفى المكاوى ، والأستاذ غزلان ، والتلاميذ بمدرسة (خليل أغا) يحفظون القرآن الكريم ويدرسون صحيح الدين الإسلامي والقواعد النحوية والخط ، وقد تم بناء مدرسة الخطوط العربية في باب الشعرية بالقاهرة، والتي مازالت تقوم بدورها التنويري لأجل الحفاظ على الهوية العربية حتى وقتنا الراهن. ومما تجدر الإشارة إليه بأن هذه المدرسة قد أفرزت نقيب الخطاطين المصريين حضير البورسعيدي .

ولأن الخط على حد قول المستعصم : الخط هندسة روحانية ظهرت بألة جسمانية تقوى بالإدمان وتضعف بالترك .

ومن مدرسة (خليل أغا) إلى مدرسة تحسين الخطوط العربية بالجيزة والتي تقوم في أساسها والحفاظ على التراث الخطي والذي يعد فناً قائماً بذاته وجزء لا يتجزأ من تاريخ الامة العربية الإسلامية مع التطور الهائل

في الهويات الجديدة والثقافات الأخرى نتيجة العولمة الحاصلة حالياً، على حين أن هناك العديد من الدول استطاعت الحفاظ على هويتها وثقافتها بين أبنائها كما هو واضح في ثقافة دول جنوب شرق آسيا ، والأحرى بنا أن ندعم هويتنا وثقافتنا (١٦)

ومنذ ذلك الوقت تُقدم مدرسة الخطوط السعيدية بالجيزة خدمة جليلة والمحافظة على تجريج العديد من الخطاطين وأساتذة الخط العربية داخل مصر وخارجها، وساهمت في ترسيخ دعائم الخط العربي داخل وزارة التربية والتعليم حتى أصبح لها مناهج خاصة وكتب دراسية متخصصة في هذا العلم.

وتقوم الدراسة فيها معتمدة على الأسس العلمية والأكاديمية في تدريس جميع أنواع الخطوط العربية (الرقعة ، النسخ ، ، الثلث ، الديواني، الفارسي ، ..... إلخ) فضلاً عن الإهتمام بالزخارف الإسلامية وأسس اللغة العربية

ناهيك عن أن الطالب بعد انتهاء فترة الدراسة يمكنة أن يدرس ما يسمى (دبلوم التخصص في الخط والتذهيب) إذ يدرس في هذا الدبلوم بشكل متخصص مادة الخط الكوفي بأنواعه / القديم والحديث، بالإضافة الى مادة التذهيب وهي كيفية تذهيب المصاحف وخلافه كحفاظ على التراث الاسلامى الخالد الى جانب العديد من المواد المرتبطة بفن الخط والزخرفة والتي تؤهله أن يكون متخصصاً في هذا المجال .

إضافة إلى مدرسة الخطوط العربية بالاسكندرية وطنطا وباقى القطر المصرى ، وفكرة إنشاء مدرسة مميزة تتولى تدريس فنون وأنواع خطوط عربية بعد إنشاء خليل أغا السعيدية بالجيزة لتؤكد على أهمية كتابة خطوط كسوة الكعبة المشرفة في هذا المجال بدلا من استقدام خطاطين ورسامين من دول إسلامية أخرى إذا إن الخط هو عماد الفن الإسلام كما أن التصوير والتمثيل عماد الأديان السابقة .

ولأهمية مدارس الخط العربى في مصر ودورها الفاعل في المحافظة على كلاسيكية الخط راحت تتواجد على وجة التقريب في كل محافظة من محافظات مصر ونادراً ما تخلو محافظة من المحافظات من إحدى المدارس لتعليم فنون الخط العربي.

ولكن ما يهمنا هو الإشارة إلى وجود وإمتداد هذه المنارة العلمية حتى وصلت إلى صعيد مصر ففى (محافظة قنا) على وجه التحديد نجد أن أول مدرسة تم تأسيها في قرية المحروسة بمركز قنا منذ اكثر من ١٦ عام اذ تم أنشاؤها عام ٢٠٠٦م بدافع الكتابة و الخط للدارسين الملتحقين بمدرسة الخط العربيلتعليم أساليب الخط وإجادته وقد تم تأسيسها على يد الراحل بدوى ثابت ابن قرية المحروسة بمركز قنا ، وقد ذهب بيكاسو : إلى أن أقصى ما وصلتُ إليه في الرسم وجدت الخط العربي قد سبقني إليه منذ أمد بعيد، فالخط هو نزهة العيون ورحيانة القلوب ونتاج الفكر ولسان البعد.

ولا تزال مدرسة الخطوط العربية بقنا تؤدى دورها فى الحفاظ على أصالة الخط العربي ومدارسته اذ كانت اول دفعة للمدرسة تحتوى على ٢٠٠ طالب وطالبة من خريجى الدبلومات الفنية وطلاب الثانوية العامة وغيره

، ومعرض المدرسة مستمر في عرض اللوحات الخطية التى تتسم بالأصالة والجدة والإبتكار والمحافظة على كلاسيكية الخطوط العربية [١٧]

ولن نغادر الحديث عن مدارس الخط العربي فى مصر في هذه المساحة المحدودة دون الإشارة إلى الخطاط القدير خضير البورسعيدى صاحب المدرسة المصرية في الخط العربي وهو نقيب خطاطي مصر وأحد الحراس القدامي والبارزين في واحد من أبرز الفنون التي تمثل الهوية العربية.

والحق إن مسعد خضير البورسعيدى ليعد فيلق الخطاطين في المواجهة الضارية مع المدارس الاليكترونية التى أصابيت هذاالفن بالتشوه . [١٨]

ويعد الفنان البورسعيدى علامة فارقة ومدرسة مؤثرة في دنيا تحسين الخطوط العربية إذ تبلغ لوحاته الخطية ما يزيد على ٥٠٠٠ لوحة وتصاميمه الخطية التي تعتمد على التجويد والمحافظة على الكلاسيكية الخطية فى أنواع الخطوط العربية ، فضلاً عن تدريسه للخط العربي في مدارس باب الشعرية وبورسعيد والنصر بطنطا وكلية الفنون التطبيقية ، ثم تم إنشاء أكاديمية الخط العربي واستقر بها بالاضافة إلى الإشراف الفنى عليها ، وقد زاوج بين الكتابة لأغراض وظيفية وبين كتابة اللوحات الإبداعية ، كذلك تم إختياره من بين خطاطي العالم الإسلامي والعربي ليكتب الآيات الكريم على الكسوة الشريفة .

ويصعب أن تخطئ العين توقيع مسعد خضير البورسعيدى في أعمال التلفزيون المصرى أو في التصميمات والتركيبات الخطية المختلفة فهو مدرسة خطية جمعت بين التجويد والتجديد.

ويمكن القول :

بأنه في مصر لا تزال تؤكد الإبداعات المستمرة لأجيال الفنانين منذ بداية القرن العشرين وحتى اليوم لن ينقرض مع العولمة ومشاكل التحديث في الدول العربية رغم كل مظاهر الأخطار. المحيطة بلغتنا العربية ذاتها وضعف مستواها المتزايد بين الشباب والأجيال الجديدة في عالمنا العربي .

ورغم كل هذه الأخطار المحيطة المحدقة حيث العولمة والتحديث نجد أن هناك من بين الشباب من يحبون الخط العربي في صمت ويجيدونه ويعشقون تفاصيل حروفه فكأنهم بذلك يقومون بمهمة قومية سامية في مستقبل غامض.

والحق أن مصر قد تفردت عبر تاريخها العربية التليد في فن الخط منذ تاريخها الفرعوني حيث ابتكرت الخطوط المبنية على رسومات جميلة رشيقة على صور وأشكال ورموز مختلفة للإنسان والحيوان والطيور بل والأسماك .

ومصر حين تغير فيها الحكم إلى الدين الإسلامي واستخدمت الخط العربي شارك الخطاطون فيها في إتخاذ أسلوب الخط الكوفي الذي تدرج جماله المستمر من الطراز الفاطمى إلى الطراز الأيوبي وكذا العصر المملوكي كما شاركوا في تطور انواع الخط المستحدثة في النسخ المملوكي وقلم المثلث والفارسي والرقعة

تشهد على ذلك والخطوط المزينة للمساجد وبخاصة محراب مسجد الأزهر ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م ومأذنتا مسجد الحاكم بأمر الله ٣٩٣ ه / ١٠٠٣ م فضلا عن بعض الأضرحة الأثرية والمتحف الإسلامي ومتحف الجزيرة للخزف الاسلامي.

كما أنه أحيانا يكون تصميم الخط شبيها بتصميم معماري من أسلوب أو نمط ما كالباروك أو القوطي رغم أن الحفط عربي مما يعطى إحساساً بالتجريد أو التجسيد .

وفى كل الأحوال يتأتى لدينا الإحساس العميق بالطراوة والليونة والإتزان والإنتظام في لوحات الخط تماماً كلوحات التصوير .

ولعل من الملاحظ في المخطوطات العربية أن تصويرها وزخرفتها بالرسوم الملونة كان أمراً ثانوياً بالنسبة إلى كتابتها بخط جميل، كما أن هناك تناسق على كل حال بين عناصر اللوحة الخطية وشخصية العمل لكل فنان، والخط هنا ليس فناً تطبيقياً ولكن فناً جميلاً (١٩)

ولعل من أبرز رواد الخط في مصر محمد رضوان على – القاهرة ١٨٨٤ / ١٩٧٦ م والذى حفظ القرآن الكريم ودرس لفترة قصيرة بالمعاهد الأزهرية ودرس الخط على يد أستاذه الشيخ على بدوى ونقل عن أساتذة الخط الأتراك ومدارس الأوقاف الملكية والإشراف على مدرسة خليل أغا منذ بدايتها .

ومن أبرز أعماله تلك التي تركها على جدران مسجدى السيدة زينب والحسين بالقاهرة وفى مدرسة تحسين الخطوط .

وكذا من أبرز رواد الخط العربي نجد سيد ابراهيم القاهرة (١٨٩٧/١٩٩٤) ذلك الخطاط العالمي واسع الثقافة والشهرة عمل أستاذاً في مدرسة تحسين الخطوط لأكثر من ٥٠ سنة ، وتخرج على يده كبار أساتذه الخط بكلية دار العلوم وبالجامعة الأمريكية بالقاهرة وأبرز مؤلفاته كتاب فن الخط العربي ويشتمل على جميع أنواع الخطوط ، وكتاب روائع الخط العربي مطبوع في الولايات المتحدة الأمريكية وكراسات الخط العربي المقررة على المدارس المصرية .

وللخطاط سيد ابراهيم جدارياته مسجد جاما بمدينة بنجالور الهندية ، وتجدر الاشارة بأن مدينة الاسكندرية قد أنجبت لنا العديد من رواد فنون الخط العربي في القرن العشرين ، أشهرهم الأخوان محمد وكامل إبراهيم .

والخطاط محمد إبراهيم على الإسكندراني ١٩١٠/ ١٩٧٠ أنشا مدرسة محمد إبراهيم لتحسين الخطوط وقام بإدارتها والتدريس فيها ١٩٣٦ / ١٩٧٠ .

وقد أقيم له متحف خاص بتونس ، وكتب المصحف الشريف بالخط الفارسي في صفحة واحدة ودرّس الخط العربي وتاريخه بكليتى الفنون والآداب بالإسكندرية .

وللخطاط محمد إبراهيم على شقيق يسمى كامل ولد بعده بخمسة عشر عاما سنة ١٩٢٥ أجاد جميع الخطوط العربية والافرنجية وقام بتدريس الخط في مدرسة أخية لسنوات طويلة وتولى إدارتها منذ عام ١٩٧٠م وقد عمل أستاذاً للخط بكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية .

وغير هؤلاء نجد الخطاط إبراهيم المصرى الذي برع في الكتابة بالحبر وأعمال الجدارية والزجاجية التى نفذها الذهب والفضة في جداريات جامعة الدول العربية ، وكذا الفنان محمد عبد القادر عبد الله (١٩١٧/١٩٩٧) إذ قضى من عمره٧٠ عاماً في عالم الخط وحصوله على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٦٥ وهو الملقب بشيخ الخطاطيين وصاحب مدرسة فريدة في الخط الديواني.

ومحمود إبراهيم سلامة من الشرقية (١٩١٩) حصل على دبلوم تحسين الخطوط ١٩٣٥ م ودبلوم التخصص ١٩٣٦ م وكان من أوائل المعلمين بمداس تحسين الخطوط بباب الشعرية وباب اللوق قدم أجمل سلسلة في خطوط الرقعة والثلث والنسخ والفارسي كما كتب كراسات لوزارة التربية والتعليم وتعتبر تراكيبه فـي خط الثلث في لوحاته وأغلفة الكتب لمعظم دور النشر مما مما يقتدى بها الدارسون .

والخطاط عبد الرحمن عبوش في مدينة منفلوط ١٩٢١ بصعيد مصر والحاصل على دبلوم الحظ العربي ١٩٥٠ وعمل بشركة النيل للإعلام ١٩٥٢ وجريدة الأهرام ١٩٨١/١٩٥٦ و قام بالتدريس في مدرسة تحسين الخطوط بباب اللوق ١٩٨٦ وله لوحات مشهورة فـي خط الرقعة.

كما أن الفنان سيد عبد القادرعبد الله / القاهرة ١٩٢١ يعد خطاطا مكتمل الجوانب فهو صوفي بمعنى أنه خطاط الحب والجمال وقد تجلى ذلك على مجمل إنتاجة الغزير الذي يمثل رهافة الحس والجمال إذ كتب المصحف الشريف وقد بلغ عدد المصاحف التى كتبها ٥ مصاحف مختلفة في التصاميم عن بقية المصاحف ولم لا وهو سليل أسرة رائدة في مجال الخط العربي فشقيقه الأكبر شيخ الخطاطين محمد عبد القادر وشقيقه الأصغر قدرى عبد القادر أستاذ الخطوط الصحفية ، وغير هذا النفر من رواد الخطاطيين عدد غفير يعجز المقام عن الحصر والالمام بكل هؤلاء .

ولكن الذي يعنينا أن ثلة هؤلاء الخطاطين في مصر[٢٠] والذين قاموا بالتدريس لأنواع الخطوط في مدارس تحسين الخطوط العربية على نحو ما أبرزنا فإن هذا النثير المتباين من رواد الخطاطيين قد حافظوا على أنماط الكلاسيكية في الخطوط العربية في مصر بمعنى أنهم قد التزموا بالمحافظة على أنساق الخطوط القديمة على نحو الكوني ، والثلث ، النسخ ، الرقعة ، الفارسي، الديواني وهذه المحافظة قد رسخت حجر الأساس للتأريخ لأنماط الكلاسيكية في الخط العربي .

كما تعد الخطوط الكلاسيكية هي الأساس التقليدي للخط العربي والتي تتمثل في الخطوط الثلاثة الرئيسية : الخط الكوفى، والخط الثلث وخط النسخ ، كما تشمل أيضا الخط الديواني ، خط الرقعة وغيرها وتعتبر هذه الخطوط الكلاسيكية تقليدية للخط العربي والتي تعود للفترة الاسلامية الأولى .

وقد راحت مدارس تحسين الخطوط العربية في مصر تعتمد على الكلاسيكية في فن الخط حيث التركيز على الكتابة والخط يتميز بالأناقة والجمالية والترتيب ، والنمط الكلاسيكيي من أقدم الأنماط المستخدمة في الكتابة من قبل وعلى مر العصور ليصبح جزءاً من التراث الثقافي في حضارات اليونان والرومانية والعربية والصينية .

ناهيك عن أن الكلاسيكية في الخط العربي تتميز بالترتيب الجيد للحروف والكلمات والجمل وإستخدام الزخارف والتفاصيل الدقيقة والغاية من فن الخط الكلاسيكي هو اظهار الجمال والأناقة في الكتابة وإيصال المعنى بشكل فني.

وتأسيساً علي ما سبق فإن الخطوط العربية ودراستها في مدرسة الخط العربي بمصر قد اعتمدت فيها الملامح الكلاسيكية للخط العربي حيث راحت ترتكز على :-

- الدقة والإتقان فى الكتابة إذ يتميز الخط العربي بالدقة والإتقان في كتابة الحروف والكلمات.
- فضلاً عن الجمالية في التناسق من خلال التناسق الجميل بين الحرف والكلمات وتحقيق فاعلية الايقاع والتوازن.
- إضافة إلى خصوصية الإبتكار والتجديد التي يتطلبها الخط العربي الكلاسيكي في تصميم الحروف والكتابة لأجل الحفاظ على تميزه وتفرده .

وبلا جدال يستمد الخط العربي وجوده من وحى التراث والتقليد فهو يرجع إلى التراث العربي الأصيل ويستمد منه بقاءه وحضوره وأصاله وجودة [٢١]

ناهيك عن توافر متطلبات الكلاسيكية الخطية في أنواع الخطوط العربية ودراستها في مصر من حيث الاستقامة بمعنى أن يكون الخط مستقيماً ومتساوياً بدقة في مجمل الأجزاء ، وكذا التوازن حيث تتوازن الأجزاء المختلفة بين الحروف والكلمات ، وأيضاً التناسق في حجم الحروف والكلمات مع بعضها البعض لأجل إخراج التناسق النصي في الشكل والحجم ، مع الإعتدال الذى هو وجوب إعتدال الخط متوازياً ومعتدلاً دون مبالغة أو ضعف .

وكذلك توفر العرض والارتفاع للحروف لأجل الحفاظ على التوازن والإتساق مع توافر التفريغ للحبر بشكل متساوٍ ومتجانس على الورقة لتحقيق الأثر الجيد للخط .

وأخيراً توفر عنصر الزخرفة الى الحروف والكلمات لتزيين الخط لإبراز قيمه الجمالية والفنية .

وبذلك تكون مدارس تحسين الخطوط العربية في مصر قد قامت بدورها الفاعل في دراسة فن الخط العربي وحافظت على جسارة حضوره الكلاسيكي من خلال ما عرضنا من أسس وقواعد ضابطة .

ومن هنا ومن خلال عرضنا للدراسة نجد أن :

الخط العربي هو ذلك الفن الذي حفظ إرثنا الحضاري والثقافي منذ مرور الزمان وعبر التاريخ كما يعد أحد أبرز الروافد الفنية الراسخة منذ القدم والتى منحنا الله من خلالها نعمة وموهبة شرف دراسته لأجل الصلة القوية والمتينة بالقرآن الكريم إذ لا يُذكر الخط العربي إلا ويُستدعى العديد من الأذهان صور جماليات الخط العربي وهى في أرقى صورها من خلال الكتابات والنصوص الجمالية والتى تزدان بلوحات قرآنية مقرونة بذلك الفن وجمال الروح والإلهام والذي يعد مفخرة لكل من تخط يداه آيات القرآن الكريم .

من هنا كانت مصر ولا تزال إحدى الأمم الحاضنة لفن الخط العربي عبر تاريخه المديد إذ ساهمت فى تطوره والحفاظ عليه مما جعل من مصر الركيزة الأساسية التى ساهمت فى صناعته وإستحداث العوامل التى أكدت على إنتشار هذا الفن الراقى فكان أن تم تأسيس مصر فى بداية القرن العشرين وتحديداً فى سبتمبر ١٩٢٢ م (لمدرسة تحسين الخطوط الملكية) بأمر الملك فؤاد ، بل وإستقدموا لها من الدولة العثمانية الشيخ عبد العزيز الرفاعي شيخ الخطاطين وقتها ليؤسس لكيان تلك المدرسة مستغلاً إزدهار الخط العربي وتناميه وتطوره وتجويده على أيدي خطاطي الدولة العثمانية الأفذاذ إيماناً بدور الخط العربي وأهميته الحضارية والثقافية .

وهناك أسماء لخطاطين لا يستطيع التاريخ أن يغض الطرف عنها على سبيل المثال : محمد جعفر ، محمد على مكاوي ، سيد إبراهيم ، محمد عبد القادر ، محمد سعد الحداد . [٢٢]

كما أن مصر كانت قبلة دارسي الخط العربي وجاذبة لكافة الأقطار فكم رأينا من خطاطين أفذاذ نالوا شرف التعلم والنهل من مدارسة الخط في مدارسها .

ورغم إنتشار مدارس الخط العربي في ربوع الجمهورية وتخريج طالب خط عربي يعرف حدوده من حيث الورقة والقلم والحبر إلا أنه ينبغي أن يتطور الخطاط مع متطلبات العصر الحديث ودخول الحاسب الآلى ، وهذه الثورة المدهشة التى حدثت ونحياها الآن فليس من الممكن أن يكون الخطاط بمعزل عن هذا التطور .

خاتمة الدراسة

وبعد فتعد دراسة مدارس الخط العربي في مصر ودروها في المحافظة على كلاسيكية الخطوط العربية من الدراسات الماتعة في هذا الجانب نظراً لكون الخط العربي حالة وجود خاصة تستطيع أن تخضع الحروف لحساسيته الفنية بالتطوير تارة وبالحشو تارة أخرى وبالتبسيط والإنتقاء والتسلسل تارات أخرى وهكذا .....

ولاجل أن أنواع الخطوط العربية قد حافظت عليها وعلى مدارستها مداس الخط في مصر في نطاق الكلاسيكية المحافظة على صنوف الخطوط العربية ووضعت بل حافظت على الأساس للتأريخ للكلاسيكية في الخط العربي والتى من أبرزها الكوفى / الثلث / النسخ / الرقعة / الفارسي / الديواني وبما يؤكد على أن هذه المجموعة من الخطوط الكلاسيكية في الخط العربي هى الأساس التقليدى للخط العربي والتى تعود للفترة الإسلامية الأولى وقد كانت تستخدم في الكتابة الرسمية مثل النسخ ، التسمية على العملات والأحجار الأثرية والكتابة في المصاحف والأوقاف والمدارس .....وهكذا .

ويسبق هذا كله بأن الخط العربي ليعد قيمة فنية يُعرف من خلاله أحوال الحروف في حالة وضعيتها وتركيبها تركيباً يُظهر فنية الكتابة ، وكون أن الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة .

فضلاً عن أن الخط نتاج لعمليات التأمل والتبصر وما يحمله في طياته من فلسفة جمالية لتصوير مفاهيم فكرية وروحية يظهر أثرها من خلال الدلائل اللغوية والكلمات المسموعة الدالة عما يجول في الذات من مشاعر وأحاسيس .

هوامش الدراسة :-

١- ينظر الوجيز فى تاريخ أدب اللغة العربية – إبراهيم جاب الله موسى ص ٥٣ ج ١ ، ١٩٣٠ م بتصرف .

٢- ينظر السابق ذاته .

٣- ينظر أهمية الخط العربي وإستخداماته إبراهيم البدري ٢٠٢٤/٠٥/١٧ م .

٤- ينظر اهمية الخط العربي بتصرف بقلم نادية أبو رميس ١٨ يوليو ٢٠٢٣ م .

٥- الإطلاع على الغاية والأهمية من الخط العربي ينظر أهمية الخط العربى لنادية ابو رميس بتصرف كبير ١٨ يوليو ٢٠٢٣ م .

٦- ينظر فى ذلك الخط العربي بين حيوية الإختزال وأصالة المفهوم . د . حسان صبحي على بتصرف الرياض ١١ أغسطس ٢٠٢٣م

٧- الخط الكوفى تمت مراجعته وتحديثه فى الموسوعة البريطانية فى ١٧ مايو ٢٠٢٣ م .

٨- الخط الكوفى تمت مراجعته وتحديثه فى الموسوعة البريطانية فى ١٧ مايو ٢٠٢٣ م .

٩- الخط الديوانى ، الموسوعة البريطانية تمت مراجعته وتحديثه فى الموسوعة البريطانية فى ١٧ مايو ٢٠٢٣ م .

١٠- الخط المغربي ، الموسوعة البريطانية تمت مراجعته وتحديثه فى الموسوعة البريطانية فى ١٧ مايو ٢٠٢٣ م .

١١- خط النسخ ، الموسوعة البريطانية تمت مراجعته وتحديثه فى الموسوعة البريطانية فى ١٧ مايو ٢٠٢٣ م .

١٢- خط الثلث ، الموسوعة البريطانية تمت مراجعته وتحديثه فى الموسوعة البريطانية فى ١٧ مايو ٢٠٢٣ م .

١٣- ينظر القيم الجمالية للكتابات والخطوط العربية والإستفادة منها فى تصميم زجاج العمارة الداخلية د . رشا محمد ، سمر محمود ، مجلة العمارة والفنون ، مجلد ١ عدد (٤) أكتوبر ٢٠١٦ م .

١٤- ينظر أنواع الخطوط العربية وأشكالها ، محمد مبروك ، موقع فرصة .

١٥- ينظر في ذلك بوابة الأهرام ١٠٠ عام لتأسيس مدارس تحسين الخطوط العربية ، خليل أغا بتصرف ٢٠٢٢/٠٧/٢٦ م

١٦- مدرسة تحسين الخطوط العربية بالسعيدية ، الجيزة ، المنتدى العام ، المجلة ، الأربعاء ٢٩ ديسمبر ٢٠١٠ م .

١٧- قصة أول مدرسة لتعليم الخطوط العربية في قنا ٢٠٠٦ م اليوم السابع ٢٥ يناير ٢٠٢٣ م .

١٨- خضير البورسعيدى ، المدرسة المصرية فى الخط العربي ، المصري اليوم ٢٠٢٢/٠٣/١٤ م .

١٩- ينظر في ذلك الخط ذلك الفن الجميل المنسي بقدم سمير غريب ، مجلة العربي ، العدد ٥٠٧ بتصرف ٢٠٢١ م .

٢٠- مقابلة خاصة مع الخطاط الشيخ أشرف عبد المعطى الغنام ، دبلوم الخط العربي بمدرسة تحسين الخطوط العربية بالمنصورة ، ودبلوم التخصص فى مساء الاثنين ٢٠٢٤/٠٧/٠١ م .

٢١- سلسلة إجابة زكي بوت ، ذكاء إصطناعي GPT ٣،٥ بتصرف ٢٠٢٣ م

٢٢- ينظر واقع تدريس الخط العربي في مدارس الخطوط العربية ، معوقاته وسبل معالجته / جمعة سعيد خميس ، صندوق التنمية الثقافية ، ملتقى القاهرة الدولى لفن الخط العربي .